

المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا

١٩١٥ - ١٩١٦

الدكتور جهاد مجيد معي الدين

كانت الفترة التي انقضت بين سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ، وقيام الحرب العالمية سنة ١٩١٤ فترة حافلة بالنشاط ضد الحكم العثماني في العالم العربي ، وكان أمل العرب في الدستور الذي أعلنه الاتراك سنة ١٩٠٨ ان يحقق بعض أهدافهم القومية ، وان يمنح العرب بعض مظاهر الحكم الذاتي ، الا ان الدستور الجديد لم يحقق تلك الاهداف القومية (١)

فعندما استولت جمعية الاتحاد والترقي على الحكم في استانبول سنة ١٩٠٨ ، وبدأت الصحف التركية بالاشادة بامجاد انطوريانيين ، وأخذت تشيط عند الترك عصبية تركية ترمي الى صيغ الامبراطورية العثمانية بصيغة تركية ، واعتقد معظم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ان سياسة التتريك ستصير بقية عناصر الامبراطورية العثمانية في بوتقة تركية واحدة (٢) . ولقد رافق السياسة الطورانية شدة في الحكم ، وضغط على الحريات ، وعلان للحكم العرفي ، والى تناحر شديد بين الترك وأتباعهم الاخرى (٣) . رادى ضغط الاتحاديين على الجمعيات العربية ورجالاتها العاملين في داخل السلطنة الى تبلور مجرى النضال القومي العربي ، وظهرت في تلك الفترة (١٩٠٨ - ١٩١٤) عدة جمعيات ونواد اتخذت كلها صفة عربية ، مثل جمعية النهضة العربية ، والمنتدى الادبي ، والجمعية النقطنانية ، والجمعية العربية الفتاة . وجمعية العهد . وساعدت كلها على بلورة الفكرة القومية في العالم العربي (٤) وسارعت السلطة التركية لاصحاح نشاطها واغلاق ابوابها مع ان بعضها كان يدعو الى الاخاء العربي العثماني وتمسك الترك بأسلوب الادارة المركزية الشديدة بدلا من العمل على تخفيف وطأتها وعندئذ قام نوع من التفاهم السري بين نضر من رجال الاسلحة العربي ، ومن ضباط الجيش ، كما حدثت أيضا محاولات من جانب بعض الزعماء العرب للاتصال ببعض الدول الاوربية (٥) .

ثم عقد المؤتمر العربي في باريس سنة ١٩١٣ ، وبحث المؤتمر حقوق العرب في الدولة العثمانية ، واتخاذ اللامركزية قاعدة لادارتها ، وقسّر المؤتمر مطالبة الدولة العثمانية الاعتراف بحقوق العرب السياسية ، واعلان الادارة المركزية ، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية ، واشترك العرب في ادارة الحكومة المركزية في العاصمة ، وان يستخدم الجنود العرب في ولاياتهم في غير أيام الحرب (٦) . وجاء في الدعوة لعقد المؤتمر : (اننا أمة ذات وجود حي لا ينحل ، ومقام عزيز لا ينال ، وخصائص قومية لاتنزع . ونصارع الدولة العثمانية بان اللامركزية قاعدة حياتنا ، وان حياتنا أقوى حق من حقوقنا ، وان العرب شركاء في هذه الدولة ، شركاء في الحرية ، شركاء في السياسة ، واما في داخلية بلادهم فهم شركاء انفسهم) (٧) فقد رأى هؤلاء العرب ان اللامركزية الخطوة الاولى نحو تحقيق استقلال ووحدة الامة العربية ، على ان يتلوا خطوات أخرى . ولم تخطر فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية على بال المؤتمرين ، بل بالعكس كانت كلمات الخطباء كلها تنصب على الاحتفاظ بوحدة الامبراطورية ، شريطة الاعتراف بحقوق العرب ، عن طريق اشراكهم في حكم بلادهم ضمن الشكل الاداري اللامركزي (٨) .

وافقت حكومة الاتحاد والترقي في تركيا على قرارات المؤتمر ، او تظاهرت بالموافقة عليه . وانفض المؤتمر ، ولكن الحكومة التركية اكتفت بعد ذلك بتعيين خمسة أعضاء من العرب في مجلس الاعيان ثم ما أن انتهت حرب البلقان ، وانتهى هذا الخطر التي تهددها فترة حتى بدأت الحكومة التركية تتهرب في تنفيذ وعودها ، وعادت الى سياسة العنف والتركيز ، مما أدى الى ازدياد بلورة الفكرة القومية العربية ، واصرار الامة العربية على المطالبة بحقوقها القومية (٩) .

والواقع ان الجمعيات العربية حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ما كانت تنوي الانفصال عن الدولة العلية لسببين الاول : هو تمسك العرب بالخلافة الاسلامية والرابطة العثمانية ، والثاني : خوفهم من تطرق النفوذ الاجنبي الى بلادهم (١٠) ، ولكن على اثر نشوب الحرب العالمية الاولى واشترك الدولة العثمانية تشرين اول ١٩١٤ ، ان دخلت القضية في مرحلة جديدة ، فقد وجد العرب ان بلادهم قد جرت الى حرب لا يرغبون فيها ، وأصبح من الواضح ان الامبراطورية العثمانية على وشك الانهيار ، فكان لا بد من التفكير

في مصير بلادهم . وانقسمت آراء القوميين العرب السياسية في هذا المجال ، اذ بينما رغب البعض في تأسيس دولة مستقلة معتمدين على جهودهم الخاصة ، رغب البعض الاخر في تحقيق هذا الهدف بمساعدة خارجية ، وبقيت فئة اخرى على تمسكها بالدولة العثمانية خوفا من الاطماع الاوربية (١١) ، ولكن الظروف التي اكتنفت سني الحرب دفعت بالحركة العربية الى ان تأخذ اتجاها آخر يبعدها عن الدولة العثمانية ، فقد عين جمال باشا قائدا للجيش الرابع في الشام مع صلاحية مطلقة في حكم سورية الطبيعية (للقيام بهجوم على القوات الانجليزية المراقبة على قناة السويس ، واعادة الامن والنظام الى سورية) (١٢) . ولقد أصبحت سورية ذات أهمية عظمى بعد اشتراك الدولة في الحرب من الحصار البحري الذي ضربه الحلفاء على السواحل لم يبق سبيلا للمواصلات بين الاناضول وسائر بلاد العرب ، الا بواسطة الطرق البرية . فولايات البصرة وبغداد والموصل تعتمد على طريق حلب ، وسائر ارجاء الجزيرة العربية تعتمد على الطرق المارة بدمشق .

ومن هنا رأى مجلس الوزراء العثماني ان يعهد بالمحافظة على هذه المنطقة المهمة ذات الشرايين الحيوية الى قائد قوى الشكيمة مع منحة سلطات فوق العادة يستطيع بواسطتها ان ينظم المسائل الادارية والاقتصادية وفق متطلبات المركبات العسكرية . وقد وقع الاختيار على جمال باشا الذي رأى ان الصفات المطلوبة تتوافر في شخصه (١٣) .

ومهما يكن من أمر فان أنور باشا دعى جمالا وناشده باسم الوطن ان يوافق على تولي قيادة الجيش الرابع في سورية وتنفيذ عملية الهجوم على قناة السويس ، ووافق جمال على عرض زميله أنور (١٤) .

وكانت قيادة الجيش الرابع ، التي اتخذت مقرها في مدينة دمشق تمتد بنفوذها على جميع البلاد العربية (فتشمل من الناحية العسكرية والادارية ولايات أطنه وحلب والشام وبيروت وجبل لبنان والقدس والحجاز) اي مقاطعات كيليكية وسورية ولبنان وفلسطين والحجاز وجزء من جنوب الاناضول . وقد عينت الحكومة العثمانية في هذه القيادة أول الامر الفريق زكي باشا الحلبي الذي كان أحد الضباط العرب القلائل ممن يحملون رتبة لواء في الجيش العثماني ، وقد تمت التعبئة العامة في عهده ، واشرف على وضع الخطط العسكرية في هذه المنطقة ، وبعد فترة حداث بالاتراك الى احلال احمد جمال باشا مكانه واكتفوا باخراج القائد العربي زكي باشا الحلبي من خدمة الجيش العامل ، وجعلوه ياورا للإمبراطور الالماني غليوم (١٥) لانه

اعتذر عن المرافقة على القيام بحملة سيناء وقناة السويس ، إذ كان من رأيه انه من المستحيل نجاح الحملة بالاستعدادات العسكرية التي كانت الدولة العثمانية تمتلكها حينذاك . وأشار الى ضرورة مد خط سكة الحديد في الطريق التي سيسلكها الجيش الزاحف لضمان تموينه وارسال التعزيزات وكان زكي باشا يرى ان هجوما دون استعدادات كافية لن يكن نصيبه الا الفشل الذريع (١٦) .

وفي مذكرات عزيز بك رئيس مخابرات جمال باشا يوضح أسباب اختيار جمال فيقول : (كان في سورية في بداية الحرب زكي باشا كقائد للجيش الرابع وكان شريفا محبا للجامعة العثمانية - اي غير عنصري - ولم تكن هذه الصفات لتروق للقابضين على زمام السلطنة الذين كانوا يريدون نفوذ أمرهم في هذه البلاد وان يكون على رأسها شخص يعرف كيف ينفذ ارادتهم ويقضي تماما على الفكرة العربية فقررروا استبدال جمال باشا به) (١٧) .

ويؤيد هذا نبذة مختصرة وردت في مذكرات جمال باشا في سياق ذكره أسباب اختياره قائدا لسورية جاء فيها : (ان انور باشا قال له ان الانباء الواردة من سورية تدل على وجود هياج داخل البلاد مضافا الى ذلك النشاط العظيم الذي يبديه القوميون العرب . وان زكي باشا لا يريد القيام بحملة السويس ويطلب مطالب كثيرة ونجدت كثيرة أحماية سورية ضد انزال قوات من البحر وانه - اي جمال - هو الرجل الذي يمكنه ان يسد الفراغ ، وهو القادر على تحقيق المقاصد) (١٨)

ان تعيين وزير البحرية الفريق جمال باشا قائدا للجيش في سورية . قد أوحى الى المفكرين في سورية ولبنان عزم الوزارة وسلطة الجيش العليا على اتخاذ خطة جديدة تسير عليها ، بعد ان أعلن الجنرال البريطاني مكسويل انتهاء سيادة تركيا عن القطر المصري المحتل من قبل الجيوش البريطانية وخلع الخديوي عباس باشا الثاني الموالي للترك والمقيم بينهم ، واجلاس ابن عمه الامير حسين كامل على العرش المصري بلقب سلطان مصر . ثم قر الرأي اثماني بايعاز من الحلفاء الالمان الذين تكاثروا في العاصمة اسطنبول وفي دمشق ، على تخفيف العبء عن كاهل الحليفة الكبرى المانيا في ساحات الحرب الاوربية ، بمهاجمة البريطانيين في مصر وتهيئة الحملة العسكرية لعبور قناة السويس مما اضطر بريطانيا لامداد قواتها في القطر المصري بقوات ومعدات جديدة (١٩) وكان النفوذ الالماني بارز الاثر في العاصمة العثمانية ، كما

كان المستشارون الالمان في دمشق والقدس يحيطون بالقائد الاعلى جمال باشا ، وبينهم الهرلوتيد قنصل حيفا السابق (٢٠) .

لقي جمال باشا في سورية اثناء مروره من حلب الى حماء الى حمص فبعلبك فدمشق حفاوة بالغة وتكريما عظيما ، وكان الشعراء يتلون قصائد الترحيب به . وخلق عذيه الناس لقب (فاتح مصر) وكان يبدو لمن يحيطون به واثقا كل الثقة من انه سيحقق تلك الامة التي تجول في اذهان الناس . وقد وصف علي فؤاد بك رئيس اركان حرب جمال باشا الذي رافقه في هذه المرحلة حفاوة الاهلين في المدن التي مروا بها ، فقال : (وقد استقبلنا في دمشق استقبالا حافلا ليس فيه زيادة لمستزيد ، فازينت المدينة احتفاء بقدوم فاتح مصر وتراكم الالوف من الناس الى موقف القطار ، وفيهم رجال الدولة وقادة جندها وسادة البلاد وعلمائها وخطبائها وشعراؤها وقناصل الحكومات فيها ، وذبحت الاضاحي والقيت القصائد التي هي اشبه شيء باحاديث المناجاة وانصرف الناس مبتهجين متحمسين ، وكان يوما لا نظيره له) (٢١) .

ووصف جمال نفسه ترحيب اهالي سورية بقدومه فقال انهم (اظهروا وطنية كبرى واخلاصا ، وقد امتلاء قلبي سرورا اذ رأيت وشعرت ان غالبية العرب لا تحجم عن بذل ما يطلب منها من التضحيات في تلك الحرب لتحرير الخلافة الاسلامية) (٢٢) .

وبمجرد وصول جمال باشا دمشق جعل مسكنه الخاص في بعض غرف فندق داماسكوس يالاس المتخذ مقرا لقيادة الجيش العليا . وتظاهر بانه من انصار العروبة ، وسعى لاستمالة الاصلاحيين واتصل برجالهم وزعمائهم وقربهم اليه واتخذ من احدهم الدكتور عبد الرحمن شهيندر طبيا خاصا له ، كما فتح ابوابه في وجه عبد الكريم الخليل ، ونفخ محمد كرد علي مبلغا كبيرا من المال باسم جريدة (المنقبس) وجاد بمثل ذلك على عبد الغني العريسي صاحب جريدة (المفيد) وكلتا الجريدتين من اعظم صحف الاصلاحيين يومئذ فانضمنا الى الحكومة عملا بالخطة المرسومة (٢٣) .

لقد اخذ جمال باشا يلقي بالتصريحات يشيد فيها بالعرب ويبرهن لهم بان عروبتهم قوة وان الدولة تقدرها تمام التقدير ، ودعى في اوائل شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ الى حفلة ادبية اقيمت في النادي الشرقي لتكريم الشيخ عبد العزيز جاديش وحضرها شبان العرب ورجالهم ولما جاء دوره وقف وخطب قائلا :

« يجب عليكم يا ابناء العرب ان تحيوا مكارم اخلاق العرب ومجدهم منذ شروق أنوار الديانة الاحمدية • احيوا شهامة العرب وأدأبهم حتى التي وجدت قبل الاسلام • دافعوا عن عربيتكم بكل قواكم • اعملوا على ترقية العرب والعروبة جددوا مدينتكم ، قوموا قناتكم • كونوا رجالا كاملين ان البرنامج الذي عقد حزبنا عزيزته على تنفيذه لاصلاح حالة العرب لأوسع كثيرا مما قد يخطر ببالكم ولست لأوجس شرا من بقاء العرب والتسرك متحدين وخاضعين لخليفة واحد بل من انفصال احدهما عن الاخر كشمبين مستقلين » (٢٤) •

وقبل وصول جمال باشا الى دمشق بقليل كانت السلطات التركية قد عثرت اثر اقتحام القنصليات الفرنسية في بيروت ودمشق على مراسلات ووثائق بين بعض الزعماء العرب والقنصل الفرنسي ، وهذه الوثائق تدين بعض الشخصيات العربية بانهم يملكون تحت حماية دولة أجنبية ومن أجل مصلحتها (٢٥) ، مع ان خلوصي بك والي سورية اعتبر هذا النشاط خيانة للدولة وابلفه لجمال باشا عند وصوله الا ان جمال اراد ان يتغاضى عن هذا الموضوع وصرف النظر عن اتخاذ اجراءات ضد المتهمين في الحال رغبة - كما يقول - في تجنب ايجاد صدع في الجبهة الاسلامية ، وحتى لا يظن المسلمون في مختلف البلاد الاسلامية ان الاتراك ينتقمون من اجل ضمان سيادة الامة الطورانية ، وعن طريق عبد الكريم الخليل ، استدعى جمال بعض الوطنيين وشرح لهم ضرورة انتصار الاسلام • وقد اراد جمال تهدئة مخاوف المسيحيين في لبنان فأعلن ان المقصود باعداء الدين هم الانجليز والفرنسيون والروس ، أما مواطنونا غير المسلمين فهم اخواننا في وطن مشترك ومصالح مشتركة وسوف نعاقب بمنتهى الشدة من يحاول الاضرار بهم) (٢٦) •

وفي تلك الاثناء أعلنت بريطانيا ان مصر تحت حمايتها • كما اعلن الجنرال ماكسويل في بلاغاته التي أصدرها بمقتضى الاحكام العرفية ، انتهاء سيادة تركية الاسمية على مصر ، وخلق الخديوي عباس الثاني وارتقاء الامير حسين كامل العرش خلفا له ومنحه لقب سلطان مصر (٢٧) •

وصار تحضير الحملة على قناة السويس هو الشغل الشاغل لجمال باشا وهذا ما يفسر موقفه المهادن من (الاصلاحيين) وخاصة المسلمين منهم في تلك الفترة • يقول جمال باشا : (منذ وصولي الى دمشق ، بدأت بتحضير الحملة العسكرية على القناة وقد ركزت كل جهودي على خلق جو من الحماس

الديني والوطني في البلاد العربية . وقد نظمت بمساعدة الزعماء العرب المدعوين بالاصلاحيين مهرجانا لهذا الهدف (٢٨) .

ويتابع (لقد اردت اتباع سياسة مصالحة وعفو في سورية وكان عندي ثقة كبيرة في الحزب الاصلاحى (٢٩) لدرجة انني لم اتردد في حضور عيد وطني في بعلبك ، نظمه عبد الكريم الخليل ، وحيث لم يكن يرافقني سوى حارسي الشخصي والوالي السوري) (٣٠) .

بدأ جمال باشا هجومه على قناة السويس ليلا في الثاني من شباط ١٩١٥ ، وكان من الواضح أن جيشه غير كاف لهذا الهجوم ، ولكنه كان يعتمد على نشوب ثورة في مصر حيث مشاعر الناس عامة نحو بريطانيا غير ودية . ولكن هجومه صد وظلت مصر ساكنة فسحب القسم الاكبر من جيشه عائدا الى دمشق بعد ان ترك قوات ضئيلة في سيناء لتناوش القوات البريطانية في القناة مناوشات متفرقة بين حين وآخر ، وقد جاء في بلاغه لجيشه قبل الزحف ما يلي :

« ايها الجنود ، ان الصحارى القاحلة لتمتد من ورائكم ، والعدو الجبان يقف امامكم ، فان ترددتكم فلن يكون نصيبكم الا الموت ، فالى الامام ، فان الجنة امامكم » (٣١) .

وبعد اخفاق هذه الحملة أخذ يشيع انه لم يقصد من وراء هذا الزحف الا ان يكون عملية استطلاع بالقوة وسيتلوه في الوقت المناسب الهجوم الحقيقي (٣٢) وبدأ ينفذ المشروعات اللذين جاء يحملهما معه بالاتفاق مع طلعت وأنور . الاول (الغاء امتيازات متصرفية جبل لبنان واخضاع سكانها للسيادة العثمانية المباشرة ، والثاني القضاء على الفكرة المصرية التي اختمرت في النفوس وتترك العرب) (٣٢) . فما كادت تعرض عليه اوراق تتضمن اتهام رجل يدعى يوسف الحايك ، وهو قسيس ماروني من جبل لبنان بتبادل رسائل مع السيد ديشانل الذي كان حينئذ رئيسا للبرلمان الفرنسي ، رأى فيها جمال باشا دليل خيانة ، فوقع عليه حكم الاعدام . ونفذ الشنق علنا أمام الجمهور في مدينة دمشق في ٢٢ آذار سنة ١٩١٥ (٣٤)

أخذ جمال باشا يوجه همه الى المنظمات المدنية ، وقرر ان يحاكم المتهمين الذين ورد ذكرهم في الوثائق التي عثر عليها في القنصليتين الفرنسيتين فالقى القبض على عدد كبير من الناس وحوكموا أمام (ديوان الحرب العرفي) اي (المجلس العسكري) في مدينة عاليه بجبل لبنان (٣٥) . وصدر الحكم

باعدام ثلاثة عشر منهم ، وبالحكم نفسه غيابيا على خمسة واربعين آخرين ممن كانوا خارج البلاد او كانوا قد فروا ، كما حكم على عدد غيرهم بالسجن مددا متفاوتة وبالنفي ، وكانوا جميعا من الرجال البارزين وبعضهم من الشخصيات المشهورة ، وقد ارجيء تنفيذ الحكم في اثنين من الثلاثة عشر الذين حضروا المحاكمة واستموا الى الحكم الصادر باعدامهم ، أما الباقون فقد نفذ فيهم الحكم فجر اليوم الحادي والعشرين من شهر آب سنة ١٩١٥ فنصبت احدى عشرة مشنقة في الميدان الرئيسي ببيروت وعلبلك وحماه ودمشق وجنين (٣٦) ولقد اعدمت القافلة الاولى من الشهداء في بيروت في ٢١ آب سنة ١٩١٥ وهذه اسماؤهم :

عبد الكريم خليل ، وكانت له مع رجال الحكومة اوثق صلات المعاشرة والصداقة وذيلت بتوقيعه مع طلعت بك الاتفاقية العربية التركية واحرز شهرة واسعة ومكانة مرموقة في استانبول كرئيس للمنتدى الادبي . وصالح حيدر الذي كان رئيسا لبلدية بعليك ، ومسلم عابدين ، ونايف تلو ، ومحمد المحمصاني وهو خريج مدرسة الحقوق بباريس ومحرر جريدة المفيد واحد مؤسسي جمعية الفتاة ، وشقيقه محمود المحمصاني ، وعبد القادر الخرسا ، ومحمود العجم ، وسليم عبد الهادي ، ونور الدين القاضي وعلي الارضاري (٣٧) .

يوضح جمال باشا في مذكراته ان كثيرا من اركان الحركة العربية الذين حوكموا وحكم عليهم ونفذ فيهم الاعدام في آب ١٩١٥ كانوا ضحية وشايات وتحريضات بعض رؤساء الفئة الثالثة مثل الشيخ اسعد شقير والامير شقيب ارسلان وكامل الاسعد ، وان جمالا اصدر اوامره باعتقال رجال الحركة العربية بدء من عبد الكريم خليل ورضا الصلح ورياض الصلح وغيرهم على اثر مراجعة الشيخ اسعد له وقوله ان لدى كامل الاسعد اخبارا عنهم ، وكامل الاسعد هو الزعيم الاكبر الشيعي في جبل عامل ، وقد احضر جمال كاملا هذا واصفى لما قال له عن حركات ونشاط رضا الصلح وعبد الكريم خليل ورفاقهم في جبل عامل . ورضا الصلح من صيدا وعبد الكريم من صور . هذه الوشاية اكدت لدى جمال باشا مخاوفه وقلقه واعتقاده بان الثورة أصبحت على الابواب . وبادر على أثر ذلك الى اصدار اوامره بمطاردة هؤلاء وامثالهم واعتقالهم ومحاكمتهم (٣٨) . ان وشاية كامل الاسعد لم تكن سوى محاولة من قبله لابعاد منافسيه السياسيين . ولكن جمال باشا كان بحاجة على كل حال الى حجة يبرر بها سياسته هذه .

ويوضح محمد جابر صفا ، الذي كان موقوفاً بناءً على وشاية مفتي الجيش وكامل الاسعد ، عن نشاط عبد الكريم الخليل في الجنوب (كان الخليل مفوضاً ، من قبل جمعية عربية اندمجت مع حزب اللامركزية باشر هذا الأخير في ١٨ تشرين الاول ١٩١٤ في تأسيس فرع للحزب يقوم برنامجه على اللامركزية ، في صيدا وصور وبعض مناطق جبل عامل) (٣٩) .

ولا شك أيضاً في أن التحسب من نزول حملة عسكرية من جنود الحلفاء في الساحل السوري ، كان من أكبر الدوافع التي حدثت بجمال باشا الى اتخاذ قراره باعتقال أولئك الاصلاحيين واحالتهم الى المحاكمة ثم الحكم عليهم بالاعدام ، ولم تكن الحجج الأخرى التي تدرع بها جمال باشا الا من قبيل التماس الاعذار (٤٠) .

وحكم في هذه القضية نفسها بالاعدام على حافظ بك السعيد - نائب باشا في مجلس المبعوثان العثماني - والشيخ سعيد الكرمي - مفتي قضاء طولكرم - وحسن حماد وغيرهم . وقد ابدل حكم الاعدام الصادر على الاول والثاني بالسجن المؤبد لتقدمهما في السجن وافرج عن الثاني فسي نهاية الحرب بعد اقامته نحو اربع سنوات في قلعة دمشق سجيناً (٤١) اما حسن حماد - من نابلس - فقد نجا بمعجزة وذلك انه لم يتسلم اشعار استدعائه الى المحكمة بسبب تأخر في الاجراءات ، فلم يحضر الجلسة بل ذهب وهو خالي البال ليصرف أمور عمله بوصفه رئيساً لدائرة تسجيل الاراضي في بلدته ، فحكم عليه بالاعدام غيابياً وفي تلك الاثناء وصله اشعار الاستدعاء فسافر للمثول امام المحكمة العسكرية في عاليه وحينما وصل الى فندق البلدة قرا بالمصادفة إحدى الصحف التي نشرت الحكم عليه ، فتناول حقيبة ملابسه واستقل القطار الى دمشق واختفى فيها واطلق لحيته ، وتزوج ابنة الرجل الذي أختبأ عنده ، وانجب منها طفلين . وعاد سالماً الى نابلس بعد أن وضعت السرب اوزارها (٤٢) .

وحكم في هذه القضية أيضاً غيابياً على كل من رفيق العظم وحقي العظم والشيخ رشيد رضا وداود بركات وفارس نمر والدكتور شبلي شميل و خليل المطران و ابراهيم النجار وجورج عبد المسيح وجبرائيل ناصيف ونجيب عازوري والفرد عازوري وجورج بحري والامير خليل ابي الدمع و خليل بولاد وهنري حبيب بولاد ونجيب البستاني وامين البستاني ويوسف البستاني وفيليب سمان ونجيب قطان ونجيب قريصاني وجورج دوماني وجورج خير ورشيد خياط وادمون ملحمة والدكتور خليل مشاقه ويوسف سماعيل

صيدناوي والياس حنين وسليم شميل وماريوس شميل ويوسف حبيب زنانيري والياس زهار والفونس زينييه وفؤاد الخطيب وقسطنطين يني وحسن حماده وعبد الحفيظ الحسن ورزق الله ارقش وسليم ثابت وعزت العابد وشكري غانم وعزيز علي المصري وجميعهم من السوريين الذين كانوا ينزلون مصر وأوربا في تلك الايام باستثناء الاخير فهو من اصل مصري وبعضهم من المتصلين باللامركزية كما ان بينهم من كان قنصلا بالحكومة الفرنسية ويعمل في خدمتها .

وحكم أيضا بالاعدام غيايبا على كل من بشارة البواري واسكندر سرسق وادوار كرم وجبرائيل حداد وسيمون ابي شنب واسعد باسيلا ونجيب أيوب والفريد ليان واسعد مفرج وانطوان ارقش ونجيب موسى دياب (امريكا) وسليم بولس والامير امين مجيد ارسلان وسعيد مخيبر ورشيد تقي الدين ويوسف صموئيل (٤٣) .

لم تكن هذه المحاكمة عادلة او قانونية (حتى لقد كان معظم الذين نجوا من قبضة الديوان العرفي هم الذين تظاهروا بالبله ، أو انكروا نسبتهم العربية أو قدموا هدايا ثمينة لرجال التحقيق ، فشهدوا ببلاهمتهم ، أو جاءوا بوسائط أخرى) (٤٤) .

ولقد قال شكري بك رئيس هيئة القضايا في هذا الديوان العرفي : (ان الحكم في هذه القضية عدل اربع مرات بامر جمال باشا ، فكان في كل مرة يخرج اناسا من قائمة المعدمين ويدخل غيرهم ، وأخيرا أبلغه بشكله النهائي ، فنفذ كما أمر) (٤٥) .

أما ادلة الاتهام التي أستند عليها المجلس العسكري التركي فهي عبارة عن بعض الرسائل التي كان يبعث بها حقي العظم أحد أعضاء اللامركزية في مصر الى بعض هؤلاء الاشخاص قبل وبعد دخول تركيا الحرب ، وفيها يحذر رفاقه في الشام سوء العاقبة ليكونوا على أهبة العمل ، حتى لا تقع بلادهم في قبضة أحد ، ويبين لهم ان تركيا ان دخلت الحرب او لم تدخلها فان بلاد العرب معرضة للاخطار ما لم يكن ابناءها مستعدين للذود عنها ، وانه قد تكون فرصة طيبة لهم ليستقلوا عن العثمانيين (٤٦) .

ويوضح رئيس اركان حربه علي فؤاد باشا (ان جمال باشا لم يكن مخطئا في اجراءاته الخاصة بتنفيذ حكم الاعدام في رجال القافلة الاولى ، فقد كان في موقف حرج يبرر عمله ، ولو لم يقدم على عمل ما عمله لما

استطاع السيطرة على الموقف والحيلولة دون اتساع نطاق الثورة ، وكانت تهدد البلاد العثمانية في البقعة العربية منها) (٤٧) •

ثم يستمر قائلاً « لقد كان عليه ان يقف عند هذا الحد خصوصاً وقد لمس تأثير عمله في البلاد فقد هابه رجال الحركة الثورية ، فطالب بتخويله السلطة اللازمة لمحاكمة جميع الذين وردت اسماؤهم في الاوراق التي صودرت في القنصلية الفرنسية ، وهذا خطأ فادح ارتكبه ، وجعل العرب يمقتونه حتى لقبوه سفاح سوريه ، وهم على حق » (٤٨) •

ان الوثائق والمراسلات التي عثر عليها الترك واتخذوها مداراً للتحقيق هي أوراق حزب اللامركزية والجمعية القحطانية والجمعية الثورية وكانت محفوظة بيد حقي العظم وكذلك أوراق القنصليتين الفرنسية في دمشق وبيروت (٤٩) وما عدا ذلك فلم يوفقوا الى معرفة سر جمعية واحدة من الجمعيات العربية الكثيرة التي كانت تعمل في تلك الايام ولم يصادروا ورقة واحدة من اوراقها (٥٠) •

وبين الرواة اختلاف في كيفية وصول اوراق القنصليتين الفرنسيتين في بيروت ودمشق الى الترك فهناك من يقول ان رجال الحكومة في بيروت ذهبوا الى دار القنصل الاميركي وطلبوا منه ان يسمح لهم بتفتيش دار القنصليتين الفرنسية والانجليزية لانهما كانتا تحت اشرافه بعد سفر القنصلين في ابتداء الحرب فأجاب بالرفض لانهما ختمتا بالشمع الاحمر فقال الموظفون الترك انهم لا يريدون دخول الغرف المختومة بل يكتفون بتفتيش ما لم يختم فاستمهلها ريثما يراجع السفير في الاستانة ، وقد راجعه فأجاز الطلب ففتشوا غرف الدارين فعثروا في دار القنصل الفرنسي على هذه الاوراق فأخذوها ، ولم يعثروا على شيء في دار القنصل الانجليزي لانه لم يترك شيئاً بعكس قنصل فرنسا (٥١) •

ويروي ان محمد الشنطي اليافي أحد مساعدي حقي العظم ومعتمديه هو الذي حمل هذه الاوراق الى الترك فقد اغتنم إحدى الفرص فسافر في اوائل الحرب الى اثينا فسلم الاوراق بكاملها ، الى السفير العثماني غالب كمال بك أملاً ان تمنحه الدولة مكافأة مالية كبيرة فأرسله هذا على الفور الى طلعت بك وزير الداخلية فأحاله هذا الى جمال باشا (٥٢) •

وهناك رواية أخرى مؤداها ان الموظفين الترك في بيروت دخلوا دار القنصلية الفرنسية وقضوا اختامها ، فأبلغ القنصل الاميركي وكانت الدار

موضوعة تحت حماية سفير دولته في الاسانة وهذا رفع الامر الى الحكومة الاميركية فأحتجت في شهر تموز سنة ١٩١٦ احتجاجا رسميا على خرق القواعد الدولية ويقال أيضا أن أحد ترجمة قنصلية بيروت اللبنانيين هو الذي ارشد الترك الى مكان هذه الاوراق فحصلوا عليها (٥٣) .

ومن بين الاوراق التي استخرجت من دار القنصلية في بيروت وظفرت بها السلطة التركية ، عريضة تتضمن التماس مساعدة فرنسا لفصل سوريا ولبنان عن الدولة العثمانية وحصولها على الاستقلال التام والحرية وكان بين التواقيع التي تحويها العريضة اسم يوسف الهاني وهو من موارنسة لبنان (٥٤) ، وتم تقديمه الى المحاكمة امام الديوان العرفي بعالية فحكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم فشنق في بيروت يوم ٥ نيسان سنة ١٩١٦ (٥٥) أما باقي الاشخاص الذين اشتركوا في توقيعها ، فقد غادروا بيروت في بدء اعلان الحرب فسلموا مما كان ينتظرهم من مصير (٥٦) .

ومن الذين قدموا الى المحاكمة بتهمة التجسس للحكومة الفرنسية ، والعمل على فصل لبنان نهائيا عن الدولة العثمانية واستقلاله وتوسيع حدوده وطلب معونة فرنسا في هذا السبيل الشيخ فيليب والشيخ مزيد الخازن ، فقد حكم عليهما بالاعدام فاعدا في بيروت يوم ٥ حزيران سنة ١٩١٦ (٥٧) .

أما حالة الشهداء حين اعدامهم وطريقة الاعدام وما فاه به كل واحد منهم فقد كانت حالة تدعو للتأمل اذ نقل رجال الرعيل الاول بالعربات من عالية الى ديوان الشرطة في بيروت منتصف ليل ٢٠ آب سنة ١٩١٥ فادركوا على الفور ما أعد لهم فتوضأ معظمهم . وتقدم عبد الكريم الخليل من مفوض الشرطة وقال له :

- الا يحضر الوالي اعدامنا .

- كلا . فمدير البوليس ورضا باشا كافيان -

- أتريد ان تدعو لي قليلا مدير البوليس .

- حبا وكرامة .

وذهب المفوض الى مدير البوليس فدعاه وشد ما اسرع الى مقابلة عبد الكريم وكان اثناء اقامته في الاستانة قد انقذه من السجن مرتين فلما تقابلا . التفت اليه عبد الكريم شامخ الرأس وقال له :

• - اتذكر انني انقذتك من الموت مرتين •

فقطب مدير البوليس حاجبيه وقال :

• - اذكر ذلك ولكنني عاجز الان عن مكافأتك فقد حكم عليك من يد فوق يدي •

• - أنا لا أطلب منك ان تنقذني لانني اعرف الحد الذي يبلغ اليه عرفان الجميل عند الاتراك ولو كلفوك ان تضع الحبل في عنقي لما تأخرت ولفاخرت اقرانك بعملك •

• - والان ماذا تطلب •

• - أطلب منك ان تقابلني بالوالي عزمي •

• - ذلك مستحيل •

• - اتصنعون عن محكوم عليه بالموت رغبة يرجوها قبل موته •

• - قل ما تريد ان يعرفه الوالي عنك وأنا أبلغه اياه حرفا حرفا •

• - لا اريد ذلك اذا كان هو لا يجسر ان يقابلني وجها لوجه • ولكنني أريد منك ان تمنع كل تركي من الدخول علي وهذه هي ارادتي الاخيرة (٥٨) ثم ادار ظهره وأخذ يتمشى بسرعة وهو واضع يديه في جيوبه •

وأحب مدير البوليس ان يرضيه في آخر ساعات حياته فمنع عن الدخول الى غرفته في تلك الساعة التي سبقت الاعدام كل مأموري البوليس الترك •

وما هي الا هنيهة حتى وصل الى تلك الغرفة بوليس يحمل جبـرا وأقلاما وقال للمحكومين :

• - اكتبوا وصاياكم اذا شئتم •

وترك الاقلام والعبر على طاولة كبيرة في الغرفة وخرج فجلس الشهداء يخطون على الطروس آخر ما تمليه عليهم الوطنية والعاطفة قبل ساعات الموت ••

كتب كل واحد وصيته وتركها وديعة عند دار البوليس لتسلمها الى أهله وبعدها صدرت الاوامر الى الجنود بتكيب السلاح (٥٩) : وأول من

وقف تحت جبل المشنقة عبد الكريم الخليل فقال بصوت عال وبجمل متقطعة
- قوانين العالم كلها تجيز للمحكوم عليه بالموت ان يقول ارادته الاخيرة
قبل ساعة موته فهل يجيز لي قانونكم ايها الباشا (يريد رضا باشا قائد
جبل لبنان يومئذ) ان أتكلم قبل ان يوضع الجبل في عنقي .

فتوقف رضا باشا بضع ثوان لا يجد جوابا ثم اذن له في الكلام فقال :

(اشهدكم ايها القوم اننا لم نأت أمرا فريا يوجب وقفنا هذه واني
أسف على ما أظهرته من الاخلاص للدولة منذ نشوب الحرب ولكن الاتحاديين
أبوا الا ان يعلنوا عداؤهم لهذا العنصر الكريم الذي لا يملك من أمره شيئا
فاذا كان جمال باشا يتهمنا باضرار الثورة لاستقلال العرب فلا بد من ضحايا
لهذا الاستقلال ولكن نحن أول هذه الضحايا ، انني أعرف السبب الحقيقي
الذي شنقني جمال باشا لأجله وسيعرفه التاريخ) (٦٠) .

وكانت آخر كلمات الشهيد عبد الكريم الخليل (بلغوا السفاح
جمال باشا انه سوف يكون اعدائنا أكبر برهان على ذهاب ملك آل عثمان) .
ولما جيء بالاخوين محمد ومحمود محمصاني الى الساحة تمايق الاخوان قبل
الصعود الى منصة المشنقة ثم نادى محمد ، المأمور الموكل بتنفيذ الحكم وقال له :

- لي رجاء اليك قبل موتي وهو ان تتكرم وتنفذ الحكم بي وبأخي
في وقت واحد حتى لا يتعذب الواحد منا بمرأى أخيه يموت أمامه . ولما وقف
محمد تحت جبل المشنقة أحال نظره في الجمع وقال :

- يشهد الله اني لم أخن وطني دقيقة واحدة . يشهد الله ان ما فعلته
وقمت به من الحركات التي اتهمت بها انما كان عن اعتقاد ثابت لا يتزعزع
باني أخدم بلادي . اني أموت شهيدا . فلتحيا أمتي وليحيى العرب .

ودفعت الطاولتان بحركة واحدة من تحت أقدام الاخوين وما هي الا
خمس دقائق حتى كانا جثة بلا حراك (٦١) .

ثم جي بعبد القادر خرسا ونور الدين القاضي فوقف نور الدين وقال :

- اني برىء يا ناس مما اتهمت به فأرجوكم ان تبلغوا أخي سلامي ،
ثم قولوا له أن لا يتأثر ولا يبكي علي لانني مت ميتة الابطال واني لم أسود
لاسمي صحيفة لا في الحياة ولا في الممات وهوى الكرسي من تحته فقضى
مثل رفاقه (٦٢) .

لقد انتهى كل شي عند الساعة الرابعة وتم اعدام احد عشر شابا أما الذي كان يقرأ أمام رضا باشا ومدير البوليس وهياة الديوان العرفي فرمانات الاعدام فهو ضابط مغربي برتبة ملازم كان عضوا في الديوان العرفي واسمه عبد الله .

وعند الصباح جيء باحدى عشرة عجلة فانزلت الجثث عن الاعواد ووضعت كل واحدة منها في عربة وجلس عن جانبها بوليسان وساروا بالجميع الى الرمل حيث حثفروا لكل واحدة حفرة واروه فيها .

أما الاخوان محمد ومحمود المحمصاني فقد وضعوا في حفرة واحدة وقد أبقى الاتراك فرقة من رجال البوليس حيال القبور حذرا من سرقة أجساد الشهداء . غير ان بعضا من عائلة حيدر صمموا النية على سرقة جثة صالح حيدر فجاءوا الرمل وغافلوا البوليس الواقف أمام الحفرة واخذوا الجثة بعد دفنها بنهار واحد (٦٣) بعد الرعيل الاول من الذين اعدموا في ساحة البرج ببيروت في ٢١ آب ١٩١٥ اتسعت شقة الخلاف بين العرب والترك ، وتغيرت نظرة العرب في الشام ، واتفقوا على وجوب الثورة على الدولة من أجل الحصول على الاستقلال ، حتى انه ليتمكن القول بان سياسة جمال باشا في الشام كانت احد العوامل الحاسمة التي دفعت معظم زعماء المسلمين الى الاستقرار على وجوب الانسلاخ عن الدولة العثمانية .

ثم التقى جمال باشا القبض على طائفة أخرى - أكثر عددا من سابقتها - بتهمة الخيانة العظمى وكان أول من اعدموا في الخامس من نيسان ١٩١٦ جوزيف هاني من بيروت ، ثم حكم بالاعدام كذلك على واحد وعشرين آخرين : سبعة منهم في دمشق وأربعة عشر في بيروت وثلاثة مبعوثين من ممثلي دمشق كما وردت في بيان جمال باشا يومئذ (٦٥) والذي اتهم فيه هؤلاء بانهم اشتركوا في تأسيس جمعيات غايتها سلخ سوريه وفلسطين والعراق من السلطنة العثمانية (٦٦) وهذه اسماؤهم : عبد الحميد الزهراوي (من حمص) وهو عضو مجلس الاعيان وكان قد ترأس المؤتمر العربي في باريس ، وشفيق احمد مؤيد العظم (عضو مجلس النواب) ، وشكري بدري العسلي وكذلك سليم محمد سعيد الجزائري وهو ضابط في الجيش التركي ، وسيف الدين ابي النصر الخطيب (من حيفا) وكان قاضيا ، والشيخ احمد حسين طباره (من بيروت) وكان صاحب جريدة وأحد المندوبين في المؤتمر العربي في باريس ، والامير عارف الشهابي (من حاصبيا) وكان محاميا

وعلي عمر الشاشيبي (من القدس) ومحمد حسين الشنطي (من يافا) ،
وجرجي موسى حداد (من جبل لبنان) ، والامير عمر عبد القادر الجزائري ،
وعبد الغني محمد العريسي صاحب جريدة المفيد ، وعمر مصطفى ورفيق
رزق سلوم ، وتوفيق احمد البساط وعبد الوهاب احمد الانكليزي ، وسعيد
فاضل عتل ، وباتره باولي ، ورشدي احمد الشمعة ، وامين لطفي محمد
حافظ ، وجلال سليم البخاري (٦٧) .

وحكم على كل من سالم بن مصطفى المظلوم بالاعتقال في القلعة لمدة
خمس سنوات وتوقيف محمد الناطور ويوسف متخير سليمان بعشر سنين
وحسين خليل حيدر بخمس عشرة سنة ورياض رضا الصلح بنفي مؤبد
والامير طاهر أحمد الجزائري بعشر سنين معتقلا في القلعة (٦٨) ، وتقرر
براءة كل من محمد كامل الهاشم وابراهيم القاسم وسامي العظم ورشدي
الشوا وعاصم بسيسو وعزت الاعظمي ومصطفى الكيلاني وعبد الرحيم
حنون والدكتور حسام الدين ونجيب شقير والشيخ فتح الله علي أديب
والدكتور أحمد قدرى وسليم الطياره وجميل الحسيني والشيخ سعيد الباني
وسليم الشمعه وسليم النجاري وفايز الخوري ورشيد الحشيمي وعمر الاتاسي
وعلي رضا والدكتور أمين قزما وسعيد عدوه والدكتور عبد الحفيظ ومحمد
جميل الاشبي ومزيد باشا اليافي وعثمان العظم (٦٩) .

ولقد اقترنت أحكام الاعدام والنفي والسجن بأحكام النفي والابعاد
فشملت نحو ٣٠٠ أسرة من أسر الشام (سورية وفلسطين ولبنان) قبض
على اعضائها نساء ورجالا وأطفالا بأمر جمال باشا في شهري مايس ونيسان
سنة ١٩١٦ وارسلوا الى الاناضول اي قبل صدور الاحكام بعدما صودرت
أموالهم وفوزعوا في مدنه وقراه فمنهم من أرسال الى ولاية قونية
ومنهم من أرسال الى انقره وغيرهم الى ديار بكر وبروسه واطنه وسسيواس
وقسطموني حتى لم تبق مدينة من مدن الاناضول الا ونزلتها عائلة او أكثر
من العائلات السورية والغاية من هذا التدبير - وهم لم يقصوا سوى الاسر
الغنية والكبيرة الممتازة - اضعاف العصبية العربية في بلاد الشام بانتطاع هذه
العناصر القوية تترك وتفقد وتندمج في الطورانيه (٧٠) .

والواقع ان التدقيق في هذه الوثائق التي تم العثور عليها يدل على
ان أصحابها لم يرغبوا في الانفصال الكلي عن الامبراطورية العثمانية بل
كانوا يعملون من أجل الحكم الذاتي (٧١) . ففي المذكرة التي بعث بها
المسيو بومبار سفير فرنسا في استانبول بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩١٣

نرى السفير يقول ان شفيق بك المؤيد نائب دمشق السابق قام بزيارة له للبحث في القضية السورية بعدما حل بالدولة العثمانية من هزائم في البلقان وسأله عما اذا كان اهتمام فرنسا يقتصر على المسيحيين في سورية أم يشمل المسلمين كذلك (الذين اعتادوا ان ينظروا الى فرنسا نظرة وطن ثان) وقد بحث شفيق المؤيد مع السفير عن الاصلاحات الواجب تنفيذها في ميدان الادارة بسورية وعن اللامركزية ، وعن قلب ولايات سورية الثلاث الى امارة وعن عدم قبول الاتراك في الوظائف العمومية في الولايات السورية . ثم سأل السفير عما اذا كانت فرنسا مستعدة لسوق جيش الى حلب اذا قامت الحكومة العثمانية باستعمال القوة العسكرية لأجل ابقاء سورية تحت سلطتها وكان جواب السفير النصح بان يعمل الاصلاحيون على الحصول على الاصلاحات بالتفاهم مع الحكومة العثمانية . ثم قال : ان شفيق المؤيد سوف يسافر الى مصر حيث سيكرر للمندوبين الانكليز فيها بياناته ذاتها ، وبعد ذلك يسافر الى بيروت لتوحيد مساعيه مع الاصلاحيين فيها (٧٢) .

ويتضح من هذه المذكرة ان شفيق المؤيد لم يكن يطلب من فرنسا الا المساعدة على معاضدة سورية في طلبها الاصلاح على اساس اللامركزية ، هذا اذا كانت أقوال شفيق المؤيد قد نقلت نقلا امينا .

وهناك نص المذكرة التي بعث بها قنصل فرنسا في بيروت بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩١١ والتي جاء فيها ان شفيق المؤيد زاره بعد مجيئه من مصر وحدثه عن المسألة السورية وبانه يريد السفر للشام هناك (سيتشبه بتأسيس حزب اللامركزية لا حزب الاصلاح ويشترك مع اللامركزيين في مصر) (٧٣)

ومن هذا يتضح ان شفيق المؤيد كان يسعى للاصلاح على طريقة اللامركزية . دون أن يتطرق لطلب حماية الدولة الاجنبية او للانفصال عن الدولة العثمانية .

أما الجنرال علي فؤاد الذي كان رئيسا لاركان الجيش الرابع تحت قيادة جمال باشا ، فيوضح مدى مسؤولية جمال باشا نفسه في هذه القضية وذلك لان معظم احكام الاعدام التي أصدرها ديوان الحرب كان مغالفا لرأي رئيسه وأعضائه . ومنافيا لاقتناعهم الوجداني فهو يقول : (في شهر نيسان ١٩١٦ جاء الى مقر اركان الجيش بدمشق المقدم شكري بك رئيس ديوان الحرب بعاليه وقال ان محاكمة المتهمين انتهت وهيئة الديوان مقتنعة بان عدد الذين يمكن الحكم عليهم بالاعدام لا يتجاوز الثلاثة او الاربعة على

أكثر تقدير وقد كتب أيضا رئيس الديوان قائمة بأسماء المتهمين وكتب
أزاء كل اسم رأى هيئة الديوان في الحكم الذي يجب أن يصدر في حقه ،
وذهب شكري بك الى غرفة جمال باشا وقال له ان ديوان الحرب انهي المحاكمات
ودون رأيه في هذه القائمة ولكن جمال باشا تناول الورقة واخذ يكتب مقابل
كل اسم الحكم الذي يريده هو : اعدام ، اعدام ، اعدام . ورأى رئيس المحكمة
ان يعمل بتوجيه علي فؤاد اردن فقال : يا باشا ارجوك ، فكر في التاريخ ،
ولكن جمال باشا صاح في وجهه : تأريخ فليتحطم على رأسك . وبمعداها
صدرت أحكام الاعدام وفقا لأوامر جمال باشا (٧٤) .

ولما انتهت المحاكمة وتقرر الاعدام نقل الذين سيعدمون في بيروت الى
ديوان شرطتها ليلة ٦ ميس فادركوا على الفور ما يراد بهم . ونقل الآخرون
الى دمشق . وكان الذين نقلوا الى بيروت يرددون نشيد :

نحن أبناء الألي شادوا مجدا وعلا

نسل قحطان الأبي جد كل العرب

واستمروا على ذلك طول مدة وجودهم في دار الشرطة . وعند
الساعة الثالثة منتصف الليل دخل البوليس الى غرفة الشهداء ونادى ثلاثة
منهم هم : سعيد عقل وباترو باولي وجرجي حداد (٧٥) .

أخذ الجند الرجال الثلاثة الى ساحة الاعدام ، وتقدم الثلاثة بقمصانهم
البيضاء نحو المشائق وفحص الطبيب أجسامهم (لأن القانون يقضي بعدم
اعدام المريض) فصرخ باترو باولي وقال : (عجلوا بنا وخلصونا من
وجوهكم اللعينة) (٧٦) .

وجاء دور سعيد عقل فوقف على منصة المشنقة والتفت الى الواقفين
حوله قائلا :

— غفر الله لمن ظلمني ، وأسأل ربي ان يكون دمي الذي يراق الان
سببا في المستقبل لحياة بلادي وشرفا لعائلي وأولادي .

ثم التفت الى الطبيب الواقف أمامه وقال له :

— رجائي اليك ، وانت من أهل بلادي ، ان تهوى بكل قوتك علي حال
تعلقي لأن خفة جسمي تمنع انقطاع حبل حياتي بسرعة .

وجاء الجنود بثلاثة آخرين للاعدام هم عمر حمد وعبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي وكان البوليس قد طلب من عبد الغني ان يخرج من الدائرة الى الساحة مع عمر حمد وحدهما فالتفت اليه عبد الغني وقال له :

- اذهب وقل لرئيسك ان عبد الغني يطلب ان يعدم مع رفيقه الامير عارف (٧٧) ولا يحب ان يفترق عنه حتى في الموت . فذهب البوليس ثم عاد وقال له : حسن فليذهب معك وكتب عمر حمد على الطاولة قبل خروجه من دائرة البوليس ثلاث أبيات حماسية من الشعر أخذ يردددها وهو صاعد الى المشنقة . ولما وقف على منصة الاعدام خاطب رضا باشا ومدير البوليس باللغة الفرنسية ما تعريبه :

اني اكلمكما باللغة الفرنسية لانكما لا تفهمان العربية فبلغنا حكومتكما الظالمة ان هذا العمل الذي تعمله الان سيكون سببا في خرابها . ثم التفت الى الحاضرين وقال باللغة العربية :

- اني أموت غير خائف ولا وجل . أموت فداء للامة العربية ، فليسقط الاتراك الخونة وليحيى العرب .

ولما وصل الى كلمة (فليسقط الاتراك الخونة) اشماز منه الموكل بأمر اعدامه فضرب الكرسي من تحته قبل ان يتمكن الجبل من عنقه فاهوى الى الارض وهو بين حي وميت . ثم وضع الجبل من جديد في عنقه .

والتفت عبد الغني عند هذا الحادث الى الواقفين من مأموري الحكومة وقال لهم :

- عار عليكم ان تعذبوا المحكوم بالاعدام الى هذه الدرجة ، ان الانسانية ستنتقم منكم على هذه الاعمال .

فنهزه الشرطي بخشونه قائلا :

- هذا لا يعنيك ومن يخن دولته ينله اكثر من ذلك (٧٨) .

وجاء دور عبد الغني العريسي فوقف على المنصة وحاول البوليس ان يعجل في وضع الجبل في عنقه فالتفت اليه عبد الغني وقال :

- بلغوا جمال باشا ان الملتقى قريب وأن أبناء الرجال الذين يقتلون اليوم سيقطعون في المستقبل بسيوفهم اعناق الاتراك . ان الدول لا تبني

على غير العماجم ، وان جماجمنا ستكون اساسا لاستقلال بلادنا . وكان الكرسي قد أهوى من تحته (٧٩) .

وقد عجل البوليس باعدام الامير عازف لم يتركه يتكلم اكثر من بضع كلمات (٨٠) .

ولا بد لنا أن ندون جزءا من وصية الشهيد عبد الغني العريسي اذ قال في وصيته : (يا بني العرب وسلالة قحطان ، يانسل الاكارم الاماجد ويا خلف الاشاوس الصيد الذين دوخوا العالم بعزمهم وملكوا الدنيا بعدلهم يا ذوى الهمم السماء والنفوس العصماء ، الغد لنا فان تيسر لي الخلاص والافلات مرة ثانية اتممت الواجب والا فحسبي انني خدمت امتي وبلادي حتى آخر نقطة من دمي ولست بالفدائي الاول الذي يموت اليوم في سبيل القومية العربية فالرناق كثر والغاية النبيلة التي ندعو اليها تقتضي ضحايا كثيرة فلا تيأسوا اذا بلغكم غدا ان مات من نغبة رجال الامة العربية قتلوا فالغد يتلو غدا أيضا ، وبعد غد فرج انشاء الله) .

وجيء بعد ذلك بالقافلة الثالثة فكانت مؤلفة من الشيخ احمد طباره ، محمد الشنطي . وقد اعتقدت عائلة الشيخ احمد طباره بان الشيخ سيحكم عليه بالانفي فقط ولكن همس الناس في الاذان ولد في صدر عائلته شكاً . وجاء اثنان من أخوة الشيخ احمد الى ساحة الاعدام ليشاهدوا المحكوم عليهم ولم يكونا قادرين على معرفة القادمين الى الاعدام بسبب الظلام وصعد الشيخ الى منصة المشنقة واخواه واقفان ينظران الى جهته ولا يعرفانه حتى بدأ الكلام فشعروا بالمفاجئة وعادا الى البيت يحملان العائلة ذلك الخبر الحزن (٨١) .

ظل الجنود يقودون الشهداء اثنين الى المشانق حتى جاء دور توفيق البساط ، فوصل الى امام الساحة . وهناك شاهد احد عشر جثة معلقة فالتفت الى المشوقين والى شائقهم وقال :

— مرحبا بارجوحة الشرف — مرحبا بارجوحة الابطال — مرحبا بالموت في سبيل الوطن الحر .

ثم وضع الجبل في عنقه ورفس الكرسي فاهوى ومات شهيدا (٨٢) .

ولما قضى توفيق البساط التفت رضا باشا الى البوليس وقال له من بقي عندكم ؟ فاجابه الضابطان سليم الجزائري وامين لطفي وهما من كبار ضباط الجيش العثماني . فلما سمع رضا باشا اسم الضابطين نهض الى دار الشرطة وقابل سليم وامين هناك ودامت المقابلة نصف ساعة فقال امين لطفي في أثناء المقابلة لرضا باشا :

— ليقبل لنا الديوان العرني على الاقل كيف حكم علينا بالاعدام . لماذا لم يستنطقونا ؟ لماذا لم يسمعوا كلامنا ؟ أهذا هو جزءا خدماتنا للدولة ؟ وأخيرا قال لهما رضا باشا :

— سأخبر القيادة العليا بشأن العفو عنكما .

وجلس الى التلфон وطلب مخابرة جمال باشا فأجيب انه متغيب وان فخري باشا وحده في القيادة فطلب محادثته ، وحاول رضا باشا في أثناءها طلب العفو عن الضابطين بصفة كونهما من كبار ضباط الجيش . غير ان الجواب كان يرن من التلфон بهذه الكلمة — اولماز (غير ممكن) .

ولما يش رضا باشا من استجداء العفو عنهما التفت الى سليم الجزائري وقال له : ماذا تريد ان أفعل بعد الان — تعال انت وخطب فخري باشا . فأقترب سليم من آلة التلфон وطلب مخابرة فخري فلم يسمع غير هذه الكلمة — اولماز — وهنا التفت الى رفيقه وقال له — هلم بنا (٨٣) .

صعد سليم الجزائري الى منصة الاعدام ونظر الى الحضور من تحت نظارتيه ثم قال لرضا باشا — قل لهذا الخنزير جمال ان لا يفرح بموتي لان روحي ستظل حية وتعلم ابناء البلاد من وراء القبر دروس الوطنية وبغض الاتراك — ولما جاء البوليس ليضع الجبل في عنقه اراد ان ينزع نظارتيه عن عينيه فمانع وقال لهم :

— اعدموني على حالي كما عشت لانني لا اريد ان أموت وفي شيء ناقص . فلم يستطع البوليس الا الموافقة .

ولما جاء دور امين لطفي صعد الى منصة الاعدام . واضطرب البوليس في وضع الجبل في عنقه فالتفت اليه وقال له :

— (الم تعلم طرق الاعدام كما يجب ؟ ضع الجبل في عنقي بفن ونزاکه على الاقل جزاء خدماتنا للدولة . ولما لم يحسن البوليس وضع الجبل

أخذ الشهيد الجبل منه ووضعهُ هو بنفسه في عنقه ورفس البوليس الكرسي من تحت رجله (٨٤) .

هذا في بيروت أما في دمشق وقد اعدم فيها كل من عبد الحميد الزهراوي وشفيق المؤيد وعبد الوهاب الانكليزي وشكري العسلي والامير عمر الجزائري ورفيق رزق سلوم في نفس الوقت اي في صباح ٦ مايس (٨٥) حيث استطاع البوليس بعد فترة قصيرة ان يلقوا القبض على عبد الحميد الزهراوي الذي صعد الى المشنقة والتفت الى الحاضرين وقال : (ان العناية ترعى وطننا العربي الحبيب ، واننا سوف نصل الى الحصول على استقلالنا كاملا بعد ان ننتقم من الخونة الاتراك) (٨٦) .

ويصف فالح رفيق آتاي مدير مكتب جمال باشا الخاص اعدام رفيق رزق سلوم في دمشق بانه (كان مثاليا حقيقيا ، قابل الموت بوجه ضاحك بسام . كان آخر من سيقوا الى المشنقة ، ستة اشخاص قد صاروا قبله جثثا هامة تتدلى من بين أعواد ست من المشانق . وعندما وصل الى رأس الميدان ، ورأى المشنقة الفارغة ، قال مبتسما - يظهر ان موقفني هناك ، وأخذ يسير نحوها ، ولكنه عندما قرب من المشانق ورأى جثة عبد الحميد الزهراوي المتدلية من المشنقة الاولى سلم عليها قائلا مرحبا يا أبا الحرية . . حقا ان السير نحو الموت ، دون حقد ودون أسي ، لهو أصعب الامور) (٨٧) .

وقد حكمت المحكمة على اشخاص آخرين بالسجن مددا متفاوتة . ومع ان جمال باشا أعلن حل المحكمة العسكرية بعد تنفيذ أحكام الاعدام ، الا انه لم يلبث ان اعتقل في شهر حزيران امير اللواء شكري الايوبي (وكان موزلفا مدنيا يومذاك) وشكري القوتلي (رئيس جمهورية سوريا فيما بعد) وفارس الخوري (نائب دمشق يومذاك ورئيس وزراء سورية فيما بعد) وامير اللواء عبد الحميد القلطي ، واشخاصا آخرين بتهمة التآمر لاشعال ثورة عربية ، وعندما حمل اليه رئيس المحكمة القرار لتصديقه . قال له : اخرج من هنا فأنا أريد حكما بالمقوبة لا بالبراءة . وجرّت المحاكمة مجددا فحكم بالاعدام على شكري الايوبي وأثنين آخرين . ولكن الحكومة المركزية في العاصمة قررت ان ترسل جميع قرارات الاحكام في القضايا السياسية الى ديوان التمييز العسكري - نتيجة لاندلاع الثورة العربية - وعندما عرضت أوراق الحكم

على هذا الديوان قرر نقضها ورغم ذلك أصر جمال باشا على ان يبقى أولئك الاشخاص رهن الاعتقال ، فظلوا في السجن الى ما بعد مغادرته سورية (٨٨) .

ان هذه الاعدامات التي نفذها جمال باشا السفاح أثارت ضسمير المفكرين حتى من الدول الغربية ، فنشرت صحيفة Temps الفرنسية بتاريخ ٥ آب ١٩١٥ (ان الحركة العربية أهم مما يظنها المرء لأول مرة ، فقد نصبت المشانق في ميدان الحرية ببيروت وشنق فوقها احد عشر من الاعيان وظلت جثثهم معلقة في الجبال ست ساعات ثم القيت بعد ذلك في حفرة المقابر العامة برمال بيروت) (٨٩) ورافقت هذه الاعدامات مصادرة المحاصيل وفرض الاعانات للجيش باسم التكاليف الحربية ونقل الكتائب العربية من بلاد الشام الى مناطق بعيدة من الجبهة (٩٠) .

وكان لهذه الاجراءات أثرها الكبير في ابتعاد العرب عن القضية التركية وكما يذكر الجنرال الالاماني فون ساندرز (ان تأثير حكم جمال باشا لم يحرم سورية من زعامة الثورة بل زاد في الشعب روح الثورة) (٩١) . وكان لا بد لتحقيق هذه الثورة من البحث عن زعيم يتولى قيادتها وعن مصدر خارجي للمساعدة نظرا لافتقار البلاد الى الامكانيات اللازمة للثورة وصعوبة انطلاق الثورة العربية من الشام بسبب احتشاد القوات العثمانية فيها (٩٢)

وفي ٢٦ آذار ١٩١٥ وصل فيصل دمشق في طريقه الى الاسطانة ومكث فيها أربعة أسابيع . وقد استقبله جمال باشا بمظاهر الترحيب ودعاه الى الاقامة في مقر القيادة العامة ، ولكن فيصلا اعتذر عن ذلك لانه كان قد وعد آل البكرى بان يكون ضيفهم (٩٣) .

وفي اثناء هذه المدة التي قضاها فيصل في دمشق استطاع ان يطلع على أسرار الحركة العربية القومية وان يلتقي بالاعضاء البارزين في الجمعية العربية الفتاة ، وقد جرى تبادل وجهات النظر في حذر وحرص شديدين ، وقد ترددا في البداية في التصريح بما يختلج في نفوسهم ، وبدأوا يشرحون له الاسباب التي دفعتهم للمضي في طريقهم فقد وافقت اللجنة العليا للجمعية العربية الفتاة التي عقدت قبل مجيء فيصل ببضعة شهور على القرار التالي :

« نتيجة لاشتراك تركية في الحرب أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرضا لمخاطر شديدة ويجب بذل جميع الجهود لضمان حريتها واستقلالها ، كما تقرر انه اذا تحقق للدول الاوربية مطامع في هذه البلاد فان الجمعية ملزمة بان تعمل الى جانب تركية لكي تقاوم التدخل الأجنبي مهما تكن صورته » (٩٤) .

وأخيرا تمت الموافقة ان يتولى الشريف حسين زعامتهم وقيادة الثورة رغم ان مجتمع الجزيرة كان أقل المجتمعات العربية ثقافة ووعيا قوميا (٩٥) ولكنهم وضعوا مخططا يتضمن المطالب التي ارادوا ان تكون اساسا لمفاوضات الشريف حسين مع بريطانيا ، وقد عرف هذه المخطط باسم (بروتوكول دمشق) وارفقت به خريطة تبين حدود البلاد العربية في آسيا ، والتي كانوا يرون ضرورة حصولها على الاستقلال (٩٦) . ويتلخص بروتوكول دمشق فيما يأتي :

١ - اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية شمالا : شمالا بخط مرسين ، أضنه ، الى ما يوازي خط العرض ٣٧ شمالا ثم على امتداد خط بيرجييك - اورفه - ماردين - مديات - جزيرة ابن عمر - العمادية الى حدود ايران شرقا .

وشرقا : على امتداد حدود ايران الى خليج العرب جنوبا .

وجنوبا : المحيط الهندي (ما عدا عدن التي تحافظ على وضعها الحالي كما هو) .

وغربا : على امتداد البحر الاحمر ثم البحر الابيض المتوسط الى مرسين .

٢ - الفاء جميع الامتيازات الاجنبية التي عقدتها الدول الاوربية مع السلطات العثمانية طوال عهد الاحتلال .

٣ - عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا العظمى وهذه الدولة العربية المستقلة .

٤ - منح بريطانيا الافضلية في الشؤون الاقتصادية (٩٧) .

ولهذا الميثاق أهمية كبيرة ، لأنه أول قرار تتخذه جماعة مسؤولة من العرب بإنشاء دولة عربية مستقلة متحدة تستعين على توطيد كيائها لعقد معاهدة دفاعية مع بريطانيا ، ولقد منح هذا الميثاق بريطانيا العظمى كل ما كانت تطمح اليه لضمان مصالحها وتأمين طرق مواصلاتها مع الشرق (٩٨)

لقد كان الامير فيصل في اليوم الذي تم فيه تنفيذ حكم الاعدام ، مقيما مع آل البكري في مزرعتهم بالقابون ، وهي تبعد عن دمشق حوالي خمسة كيلو مترات وبلغهم النبا . ثم قفز فيصل واقفا ، وانتزع الكوفيه من على رأسه وقذف بها على الارض ، وداسها بعنف وصاح : (طاب الموت يا عرب) (٩٩) .

عاد الامير فيصل الى الحجاز بعد أيام قليلة من حوادث الشنق (١٠٠) وأخذ يوم اعلان الثورة العربية يقترب بسرعة (١٠١) وفي صباح يوم السبت التاسع من شعبان ١٣٤٤ / العاشر من حزيران ١٩١٦ الساعة الثالثة والنصف أطلقت الرصاصة الاولى في مكة وبدأت الثورة على العثمانيين (١٠٢) واستطاعت القوات العربية ان تستولي في أقل من ثلاثة شهور على مدن الحجاز باستثناء المدينة المنورة التي بقيت محاصرة حتى آخر الحرب ، وبويع الحسين بن علي ملكا على العرب في كانون الاول ١٩١٦ وتقدم الجيش العربي بقيادة فيصل بن الحسين من أرض الحجاز فنسف سكة الحجاز بين معان والعقبه ، ثم تقدم شمالا نحو شرقي الاردن ، ثم والت القسوات العربية زحenna الى دمشق واحتلتها ، واندحر العثمانيون متراجعين الى بلاد الاناضول ، ولم يمض شهر حتى تحررت سورية كلها من النفوذ العثماني (١٠٣) أما جمال باشا فقد ظل يعتقد ان الشريف لن يجسر على اعلان الثورة ، لذلك فوجيء بانباء قيامها ، وقد سجل في مذكراته ما يدل على ذلك ، اذ قال :

« واني وايم الله لو علمت ذلك وقتئذ (ترقب الشريف الفرصة الملائمة للقيام بالثورة) لكنت أمرت بالقبض على فيصل في دمشق وعلى أخيه في المدينة ، ولارسلت فرقة تركية على جناح السرعة الى مكة للقبض على الشريف حسين وأولاده والقضاء على تلك الثورة المشؤومة في مهدها ، ولكن ماذا عساي كنت أفعل في تلك الظروف ولم تكن لدى بعد البراهين على التدابير الجنائية التي كان يقوم بها أولئك الاشخاص » (١٠٤) .

ما انقضى عام ١٩١٧ حتى ساد السكوت عن ذكر جمال باشا واوامره فقيل في تفسير ذلك ان حكومة الاستانة استدعته واحتفظت به لديها وزيرا

للبحرية (١٠٥) لأنها اعتبرته المسؤول الاول عن الفشل الذريع الذي مني به الجيش في سيناء والحجاز وقسم من فلسطين ، وعن اخفاقه في الادارة والسياسة اخفاقا كان من شأنه ان يقوم السوريون واللبنانيون عليه وعلى حكومته ، وانضم عشرون الفا من شبانهم ورجالهم الى الثورة العربية العاملة تحت راية الشريف حسين الى جانب الجيوش البريطانية . . .

مصادر وهوامش :

* القتي هذا البحث في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام المنعقد بدمشق في ٢٧/١١/١٩٧٨ -

(١) علي حسين الخربوطلي - التاريخ الموحد للامة العربية - القاهرة ١٩٧٠ - ص ٢٢٦ .

(٢) احمد طربين - الوحدة العربية في تاريخ الشرق المعاصر ١٨٠٠ - ١٩٥٨ ، دمشق ١٩٧٠ ص ١٦٤ .

وسليمان موسى - الحركة العربية - سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ - ١٩٢٤ بيروت ١٩٧٠ ، ص ٩٩ .

(٣) جميل بيهم - العرب والترك - بيروت ؟ ص ١٥٢ .

(٤) وجيه كوثراني - الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠ بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٢١٦ - ٢٢٤ وعلي حسين الخربوطلي - المصدر السابق - ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٥) احمد طربين - المصدر السابق - ص ١٦٤ .

(٦) وجيه كوثراني - المصدر السابق - ص ٢٢٤ .

(٧) انظر نص البيان في : توفيق علي برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤ مصر ١٩٦٠ ، ص ٥٠٦ .

(٨) احمد طربين - المصدر السابق - ص ١٦٤ .

محب الدين الخطيب - المؤتمر العربي الاول - القاهرة ؟ - ص ١٩

(٩) علي حسين الخربوطلي - المصدر السابق - ص ٢٠٣ .

(١٠) تحسين العسكري - مذكرات عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية - ؟ ج ٢ - ص ٢٢١ .

احمد طربين - المصدر السابق - ص ١٦٤ .

(١١) كان عزيز علي المصري قد أرسل من مصر الى زعماء العهد في سوريا والعراق يرجوهم ان لا يقوموا باي عمل عدائي ضد الدولة بل يقفوا بجانبها حتى يحصلوا على ضمانات فعلية ضد الخطط الاوربية .

انظر : خيرية قاسميه - الحكومة العربية في دمشق من ١٩١٨

- ١٩٢٠ - القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٣ .

(١٢) جمال باشا - مذكرات جمال باشا السفاح - تمريب علي احمد

شكري ، بغداد ١٩٦٣ ، ص ١٥٤ .

وانظر وجيه كوثراني - المصدر السابق - ص ٢٥٩ .

وسليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٠٠ .

(١٣) احمد جمال باشا قائد عسكري وسياسي عثماني (١٨٣٣ - ١٩٢٢)

انتسب الى جمعية الاتحاد والترقي مع أنور باشا وطلعت باشا وأصبح

من زعمائها عين وزيراً للاشغال العامة عام ١٩١٣ - ١٩١٧ وتزوج

من إحدى البنات الارمنيات المدعوة (روز) .

انظر : مصطفى طلاس - الثورة العربية الكبرى - دمشق ؟ -

ص ١١٥ .

وجورج انطونيوس - يقظة العرب ، ترجمة د. ناصر الدين

الاسد ، ود. احسان عباس بيروت ١٩٧٤ - ص ٢٣٤ .

(١٤) سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٠٠ .

(١٥) جورج انطونيوس - المصدر السابق - ص ٢٣٤ .

ويوسف الحكيم - بيروت ولبنان في عهد آل عثمان - بيروت

١٩٦٤ ، ص ١٥٩ .

(١٦) سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٠١ .

(١٧) محمد عزة دروزة - نشأة الحركة العربية الحديثة ، دمشق ١٩٧١ ،

ص ٣٤٣ .

(١٨) المصدر السابق - ص ٣٤٦ .

(١٩) يوسف الحكيم - المصدر السابق - ص ١٠٧ .

ومحمد طاهر العمري - تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ١ ،

الموصل ١٩٢٤ ، ص ١٨٩ .

(٢٠) يوسف الحكيم - المصدر السابق - ص ١٨٩ .

(٢١) سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٠٢ .

(٢٢) جمال باشا - مذكرات - ص ٢٤٩ .

(٢٣) المصدر السابق - ص ٣٤٠ - ٣٤٣ .

(٢٤) جمال باشا : مذكرات - ص ٢١٥ .
وانظر نص الخطبة في أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى

ج ١ مصر ؟ ص ٥٩ - ٦٠ .
Yale, W : The Near East, A Modern History (University of Michigan), 1958, P. 244.

وانظر : خيريه قاسميه - المصدر السابق - ص ٢٣ .

(٢٦) جمال باشا - مذكرات - ص ٣٤٠ - ٣٤٣ .

(٢٧) جورج انطونيوس : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .
Anderson, The Eastern Question, London, 1966. P. 315.

(٢٨) جمال باشا - مذكرات - ص ١٦٣ .

(٢٩) ان ماتتابع من حوادث سوف يبرهن على ان هذه الثقة لم تكن الانتاج
ظرف تكتيكي وكان الهدف منها استمالة العرب والمسلمين
لتجنيدهم في الحملة العسكرية على القناة ، وهناك فرضيه اخرى ،
قد تفسر مثل هذا السلوك اذ من الممكن ان يكون جمال باشا قيد
راوده سرا مشروع اقامة سلطنة مستقلة تحت حكمه على ان هذه
الفرضية ليست اكيدة .

انظر : وجيه كوثراني - المصدر السابق - ص ٢٦٣ .
وساطع الحصري - يوم ميسلون - بيروت ؟ - ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

(٣٠) جمال باشا - مذكرات ص ٢١٧ - ٢١٨ .
وجيه كوثراني - المصدر السابق - ص ٢٦٢ .

(٣١)

(٣٢) جورج أنطونيوس - المصدر السابق - ص ٢٢٥ .
سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٠٦ .

(٣٣) سليمان موسى : المصدر السابق - ص ١٠٧ .

نقلا عن عزيز بك (رئيس استخبارات الجيش الرابع) : سورية
ولبنان في الحرب العالمية - تعريب فؤاد الميداني - ص ١٢٨ .

(٣٤) يوسف الحكيم - المصدر السابق - ص ٢٣٤ .

(٣٥) ان جمال باشا انشأ ديوان حرب عرفي عاليه على اثر وصوله الى
سوريا سنة ١٩١٤ لمحاكمة المتهمين بالقضايا السياسية وغيرها وقد
كان الديوان العرفي يتألف من يتألف من هيئتين : هيئة تحقيق
يرأسها ضابط اسمه صلاح الدين وهيئة قضاة يرأسها قائم مقام
اسمه شكري بك . ولا توجد هناك جلسات علنية ولا مرافعات ولا
دفاع وانما كانت هيئة القضاة تسترشد في جميع اعمالها بأوامر
جمال باشا .

(٣٦) جمال باشا : مذكرات ص ٢٣٣ .
وانظر جمال باشا : الايضاحات السياسية (الاستانة ١٣٣٤)
ص ٥ وما بعدها .

(٣٧) جمال باشا : مذكرات ص ٢٣٣ .
جمال باشا : ايضاحات - ص ٥٥ .

(٣٨) جمال باشا : مذكرات - ص ٢٢٤ .
وراجع ما جاء عن الشيخ اسعد الشقيري بصدد اعتقال فارس الخوري
في : حنا خباز وجورج حداد - فارس الخوري حيساته وعصره -
بيروت ١٩٥٢ - ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣٩) محمد جابر صفا - تاريخ جبل عامل - بيروت ؟ - ص ٢١١ - ٢١٢

(٤٠) امين سعيد - المصدر السابق - ص ٦٣ ، ص ٧٦ .

- (٤١) المصدر السابق ، ص ٦٢ .
- (٤٢) روى اكرم زعيتر قصة حسن حماد في خمسة اعداد من جريدة (الحياة) البيروتية ، حزيران ١٩٦٣ .
انظر : سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٠٧ .
- (٤٣) امين سعيد - المصدر السابق - ص ١٠٧ بـتفهه ممغلى- ممغلى-
- (٤٣) امين سعيد - المصدر السابق - ص ٦٣
- (٤٤) جمال باشا - مذكرات - ص ٢٣٣
- (٤٥) مجلة المنار ، المجلد ٢٣ ، جزء ٢ ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ١٣٢
- (٤٦) جورج انطونيوس - المصدر السابق - ص ١٧٢ - ١٧٥
- (٤٧) امين سعيد - المصدر السابق - ص ٧٦/٧٧
- (٤٨) نفس المصدر - ص ٧٧
- (٤٩) ان اعضاء اللامركزية والفتاة يتبادلان الرسائل بين مصر وسورية يوماطة البريد الفرنسي ، وقد كان من جملة امتيازات فرنسا ان تفتح مكاتب بريد مستقلة لها في مواني الدولة العثمانية مثل بيروت ويافا والاسكندرية وكان العرب يستغلون هذه المكاتب البريدية للانلات من رقابة السلطات العثمانية .
- انظر : سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٠٩ .
- (٥٠) امين سعيد - المصدر السابق - ص ٦٦ .
- (٥١) Zeine, N : Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism, Beirut, 1958, PP. 129-130.
- (٥٢) خيرية قاسميه - المصدر السابق - ص ٦٦ .
- (٥٣) نفس المصدر - ص ٦٩ .

(٥٤) يوسف الحكيم - المصدر السابق - ص ٢٣٦ .

(٥٥) امين سعيد - المصدر السابق - ص ٦٨ .

(٥٦) مما يستحق الذكر ان السيدة زوجه يوسف الهاني اقامت حفله في منزلها عشية الليلة التي اُعدم فيها زوجها لجمال باشا وحاشيته دعت اليها نساء الطبقة الراقية في بيروت وبعد انتهاء الحفلة طلبن العفو عن الهاني المعتقل فتُعد بالاجابة الا انه ارسل فوراً امرًا بشنقه .

انظر : يوسف الحكيم - المصدر السابق - ص ٢٣٦ .

(٥٧) أمين سعيد - المصدر السابق - ص ٦٨ .

(٥٨) نفس المصدر ص ٨٣ - ٨٤ .

(٥٩) نفس المصدر ص ٨٥ .

(٦٠) نفس المصدر ص ٨٥ .

(٦١) نفس المصدر ص ٨٥ .

(٦٢) نفس المصدر ص ٨٥ وانظر أفاق عربية ، العدد ٩ أيار ١٩٧٦ -
- بغداد - ص ٦ .

(٦٣) نفس المصدر ص ٨٦ .

(٦٤) محمود صالح منسي - حركة اليقظة العربية في الشرق الاسيوي ،
القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٦٧ .

محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي - ص ٢٧٨ .

البديهي ان ايضاحات جمال هذه ، بما احتوته من صور فوتوغرافية
(٦٥) اصدر جمال باشا (كتبها) بعد اعدام هؤلاء سباه (ايضاحات) ومن
عن الاعترافات والوثائق المخزونة عنها ، لم تكن كافية لتبرير موقفه :

انظر : سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٢٠ .

ويوسف الحكيم - المصدر السابق - ص ٢٤٢ .

(٦٥) انظر نص البيان الرسمي الذي أصدره جمال باشا في ختام القضية
والندشور في صحف سورية في ٧ مايس ١٩١٦ في :
جمال باشا - مذكرات جمال باشا - ص ٢٦٦ .
محمد طاهر العمري - المصدر السابق - ص ١٨٩ .

(٦٧) جمال باشا - مذكرات - ص ٢٦٧ .
وانظر :

George Haddad, Fifty Years of Modern Syria and
Lebanon (Beirut, 1950), PP. 48-57.

(٦٨) انظر نص البلاغ الذي أصدره جمال باشا في ختام قضية عاليه في :
أمين سعيد - المصدر السابق - ص ٧٢
محمد طاهر العمري - المصدر السابق - ص ١٩١
(٦٩) أمين سعيد - المصدر السابق - ص ٧٣ .
محمد طاهر العمري - المصدر السابق - ص ١٩٢ .

(٧٠) أمين سعيد - المصدر السابق - ص ٧٣ .

(٧١) جريدة التأسيسية - المصدر السابق - ص ٢٣ .

(٧٢) جمال باشا - المذكرات - ص ٥٢ - ٥٣ .

(٧٣) المصدر نفسه - ص ٥٧ .

(٧٤) سابع العصري ، مجلة صري ، العدد ٣٠ آيار ١٩١١ .
نقل عن مذكرات السراج علي قويد المطبوعة باللغة التركية سنة
١٩٥٩ وعنوانها : .

مذكرات سورية خلال الحرب العالمية الاولى .
وانظر : سليمان تومني - المصدر السابق - ص ١١٥ - ١١٦ .

(٧٥) أمين سعيد - المصدر السابق - ص ٨٦ - ٨٧ .

(٧٦) أمين سعيد - المصدر السابق - ص ٨٧ .

(٧٧) المصدر السابق - ص ٨٨ وأثنى عربية ، العدد ٩ آيار ١٩٧١ ،
بنفاد - ص ٦ .

... ١٩٢٣ .

- (٧٨) نفس المصدر - ص ٨٩ .
- (٧٩) نفس المصدر - ص ٨٩ .
- (٨٠) نفس المصدر - ص ٨٩ وانظر محمد عماره - العروبة في الضصر الحديث . القاهرة ١٩١٧ ، ص ٣٤٢ .
- (٨١) نفس المصدر - ص ٨٩ .
- (٨٢) نفس المصدر - ص ٩٠ .
- (٨٣) محمد عماره - المصدر السابق - ص ٣٤٢ .
- (٨٤) المصدر نفسه ص ٣٤٢ .
- (٨٥) أمين سعيد - المصدر السابق - ص ٩٢ .
- (٨٦) المصدر السابق - ص ٩٢ .
- (٨٧) سليمان موسى - ص ١١٨ نقلا عن كتاب فالح رفقي أتاى ، جبل الزيتون الذي نشر باللغة التركية عام ١٩٣٥ (مجلة العربي العدد ٣٠ أيار ١٩٦١) .
- (٨٨) سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١١٩ .
- (٨٩) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، مصر ١٩٦٦ - ص ٤٢٦ .
- (٩٠) جورج انطونيوس - المصدر السابق - ص ٣٤٥ .
- (٩١) Zeine, N : Arab-Turkish Relations, P. 132. وانظر : خيريه قاسميه - المصدر السابق - ص ٢٤ .
- (٩٢) خيريه قاسمه - المصدر السابق - ص ٢٤ .
- (٩٣) جورج انطونيوس - المصدر السابق - ص ٢٣٦/٢٣٧ .
- ومحمود صالح منسي - المصدر السابق - ص ٢٦٦ .
- ١٤٤ -

- (٩٤) جورج انطونيوس - المصدر السابق - ص ٢٣٦/٢٣٧ .
 • مصطفى طلاس - المصدر السابق - ص ١١٨ .
- (٩٥) خيريه قاسميه - المصدر السابق - ص ٢٤ .
- (٩٦) وجيه كوثراني - المصدر السابق - ص ٢٧١ - ٢٨٥ .
 • سليمان موسى - المصدر السابق - ص ١٢٨ .
- (٩٧) جورج انطونيوس - المصدر السابق - ص ٢٤٣ .
 • وعبد الكريم محمود غراييه - مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ -
 ١٩١٨ . دمشق ١٩٦٠ . ص ٣٣٤ .
- (٩٨) الجنرال جلوب : بريطانيا والعرب ؟ ص ١٦٠ .
- (٩٩) مصطفى طلاس - المصدر السابق - ص ٢١٧ .
 • رفعة العسلي - كفاح سورية ج ١ . دمشق ١٩٣٧ ، ص ٣٠ .
- (١٠٠) جمال باشا : مذكرات - ص ٣٨٩ .
 • ١٩٦٧ . ص ٤٣ .
 • سليمان موسى - المصدر السابق - ص ٢٦٨ وما بعدها .
- (١٠١) امين سعيد - الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٢٦/٢٧ .
- (١٠٢) نور الدين حاطوم - محاضرات عن حركة القومية العربية . القاهرة
 ١٩٦٧ ، ص ٤٣ .
 • حسين فوزي النجار - الشرق العربي بين حربين . القاهرة ؟
 ص ٢٥ .
- (١٠٣) نور الدين حاطوم - المصدر السابق - ص ٤٣ .
 • وانظر : عبد الكريم محمود غراييه - المصدر السابق - ص ٣٣٥ .
- (١٠٤) جمال باشا - مذكرات - ص ٣٨٨ .
- (١٠٥) يوسف الحكيم - المصدر السابق - ص ٢٨٣/٢٨٤ .